القيادة

في هذا الجانب، يمكن، بداية، ملاحظة كيف أدّى اختلاف طبيعة الأسلوب الذي انتهجته كل من ثورة العام ١٩٣٦ وانتفاضة العام ١٩٨٧ في التعامل مع معسكر الأعداء الى تباين الشكل الذي اتخذته قيادة العمل الوطني في المرحلتين. تمحور الاسلوب النضالي لثورة العام ١٩٣٦ في العصيان المدني والمقاطعة والكفاح المسلح، في حين كانت أساليب العصيان المحدود والنضال المدني والسياسي بمختلف أشكاله هي الاساليب التي اتبعتها الانتفاضة؛ هذا بالاضافة الى ان التحولات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية، التي مرّ بها الشعب الفلسطيني، والقضية الفلسطينية برمّتها، خلال الخمسين عاماً التي تفصل بين الواقعتين، كان لها، بدون شك، أثر بالغ في الأطر القيادية على ساحة النضال الفلسطيني في فلسطين التاريخية، العام ١٩٣٦، وفي الضفة والقطاع العام ١٩٨٧.

في ١٩ نيسان (ابريل) ١٩٣٦، تألفت، في نابلس، أول «لجنة قومية» في فلسطين، ودعت الى الاضراب العام وتشكيل لجان قومية مماثلة في كل المدن والقرى. وبذلك، كانت اللجان القومية أول اطار قيادي اتخذته الثورة[٣٧]. وفي ٢٥ نيسان (ابريل)، وتحت ضغط من الرأي العام، تشكلت «اللجنة العربية العليا» من جميع الأحزاب الفلسطينية، وأسندت رئاستها الى مفتي فلسطين محمد أمين الحسيني[٣٨]. وقد تبنّت اللجنة العليا مطالب الثورة واعتبرت ممثل الشعب الفلسطيني حتى انتهاء الاضراب، العام ١٩٣٩، بينما استمرت في العمل فعلياً حتى العام ١٩٤٦. ويمكن اعتبار اللجان القومية بمثابة قيادات ميدانية اجرائية أو عملية، تقوم بالاشراف على سير الاضراب في المرحلة الأولى من الثورة، وعلى الحياة اليومية في مختلف الانحاء، بينما كانت اللجنة العليا تتولى مهام القيادة السياسية للشعب الفلسطيني، والتحدث باسمه لدى سلطات الانتداب، وعلى الصعيدين، العربي والدولي. وعندما شرع الثوار في الكفاح المسلح ضد تحالف القوات البريطانية والقوى الصهيونية الاستعمارية، تشكلت قيادات عسكرية ميدانية لهم، وتألّفت تشكيلاتهم، عموماً، من فئات ثلاث، هي: المجاهدون المتفرغون المعتصمون بالجبال الذين كانوا يشكلون العمود الفقري للثورة؛ والفدائيون الذين يعيشون حياة عادية في المدن، ويقومون بمهمات محددة، وخاصة الاستطلاع ومعرفة أحوال قوات العدو ونواياها وتصفية العملاء؛ والأنصار المساندون، ومعظمهم من الفلاحين العاديين الذين كانوا يحملون السلاح لنجدة الثوار عند نشوب المعارك في مناطقهم[٣٩].

ولقد عملت اللجنة العليا واللجان القومية جهاراً. وكانت اللجنة العليا تجتمع بالمندوب السامي وتحمل مطالب الشعب وتعلنها. وقد ذكرت اللجنة، في اكثر من مناسبة، أنها لا تسيطر على مشاعر الشعب، لأنه قام بالاضراب من تلقاء نفسه، وليس للزعماء تأثير عليه. وكان ذلك صحيحاً، بدليل ان تشكيل اللجنة قد جاء بعد بضعة أيام من بداية الاضراب[٤٠].

وهامّ، في هذا الجانب، الاشارة الى ان الوقائع كشفت، فيما بعد، عن ان اللجنة العليا (القيادة)، بتشكيلها الطبقي وأفقها الفكري وجذورها وعلائقها الاجتماعية، لم تكن التعبير الأمثل عن المطامح الشعبية؛ وكان من الواضح ان أبناء الشعب الفلسطيني أخذوا موقفاً متقدماً عن قيادتهم، من الناحية النضالية. ذلك ان القيادة، بما مثّلته من الوجاهة الاجتماعية التقليدية، انتهجت، غالباً، موقع الوسيط بين الثورة وسلطة الاستعمار، معتمدة على «حسن نيّة السلطة»؛ بينما كان رجال الثورة من أبناء الفلاحين وسكان الريف والطبقة الوسطى في المدن أشد حماساً، بصفتهم أشد احساساً بالعواقب المترتبة على سلوك الاستعمار البريطاني والحركة الصهيونية. كما ان هذه القيادة لم تمتلك الاطار الفكري النظري المناسب والمتماسك حول طبيعة المواجهة مع العدو. وبحكم هذه